الدين والسلطة الكنسية في فلسفة هوبز السياسية
من خلال كتاب "اللفياتان"

ماجدة العكز
طالبة باحثة في سلك الدكتوراه بجامعة ابن طفيل القنيطرة
أستاذة مادة الفلسفة السلك الثانوي التأهيلي
الأستاذ المشرف: محمد أبلاغ
المغرب

ملخص:

ما يهمنا في بحثنا هذا بخصوص المسألة الدينية ليس التوسع في المجال الديني عند هوبز؛ لكن غرضنا هو إبراز ذلك الانتقال الذي سيحدثه هوبز في المجال الديني أي تصبح السلطة الكنسية تابعة للسلطة المدنية، وبالتالي فازدواجية السلطة داخل الدولة تؤدي إلى إضعاف وانحلال الدولة.

لهذا السبب يتوجب أن تتحكم الدولة في السلطتين معا وتحكم الناس بواسطة قوانين مصدرها صاحب السيادة وليس من الله. لذلك جعل هوبز المسألة الدينية واللاهوتية شأنا من شؤون السياسة وهذا التمثيل السياسي سيعطي صياغة جديدة للفكر اللاهوتي.

ويمكننا أن نخلص إلى القول إن هوبز رفض بشدة أن يكون الكتاب المقدس، مصدر القوانين المدنية.. وبالتالي فالفرد يصبح خاضعا للقوانين المدنية، لكن توماس هوبز ليس مع الحرية الدينية أو حرية الاعتقاد، حيث أنه يمكن للدولة معاقبة كل من يعتنق دينا خارج الدين المسيحي، وهي تعاقبه على ما هو خارجي في الفضاء العام، أما ما هو داخلي فهو خاص به، والغرض الذي يرمي إليه هوبز هو جعل السلطة الروحية تابعة للسلطة الزمنية.

الكلمات المفتاحية : الدين ، السلطة ، الكنيسة ...

تقديم

إن الأجواء الفكرية التي كانت سائدة في انجلترا إبان القرن السابع عشر والذي كان من أهم مظاهرها السيطرة الدينية، جعلت من توماس هوبز إعادة النظر في المجال اللاهوتي ككل وتسليط الضوء على هذه المسألة التي تخص الدين. وبالتالي سيقوم هوبز بتحليل الجانب الديني تحليلا فلسفيا ممنهجا، وتفسيره تفسيرا منطقيا، لأن المسألة الدينية حسب هوبز يجب إعادة النظر فيها، مما تجعل منه إنسانا حاملا للمغالطات، وهذا راجع لعدم استعمال الإنسان للعقل، باعتبار أن العقل ملكة تهدي إلى الطريق الصحيح، ومن بين الأفكار الخاطئة التي يعتقدها الإنسان هي أن الاكتشافات العلمية هي من صنع الإله. " ملكوت الأرض"، مما يزيد من طاعة الله وعبادته. وما يهمنا في المشكلة الدينية عند هوبز هو مكانة الدين داخل الدولة. أي الدين كأداة سياسية

إذن سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نجيب عن إشكالات ومفارقات فلسفية متعلقة بالجانب الديني الشئ الذي سيدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية.

كيف حاول توماس هوبز معالجة المسألة الدينية؟ وأين تتجلى حدود السلطة الكنسية؟ وكيف يمكن طاعة الرب والإنسان في نفس الوقت؟

1: الجذور الطبيعية للدين.

الدين مسألة خاصة بالإنسان وحده وهو موجود في الطبيعة الإنسانية فقط، وهذه الصفة تميزه عن باقي الكائنات الأخرى، ولذلك يرى هوبز أن الدين ظاهرة اجتماعية، حيث يقول هوبز " نظرا لعدم وجود علامات ولا ثمار للدين إلا في الإنسان وحده، لا سبب يدعونا للشك في أن بذرة الدين هي أيضا موجودة في لإنسان فقط، وهي تقوم على صفة مميزة، أو على الأقل على درجة عالية من هذه الصفة، لا وجود لها في المخلوقات الحية الأخرى ".[1]، وعليه فإن الدين مسألة مرتبطة بطبيعتنا البشرية فقط. وما يبرر هذه الخلاصة هي النقط التالية:

أولا: إن الفضول الإنساني يجعل من الأفراد كائنات تواقة نحو معرفة مسببات الأشياء والأحداث التي تتعلق بحظهم الحسن أو السيئ.

ثانيا: يسعى الإنسان دوما في البحث عن علل الأشياء.

ثالثا: إن الطبيعة الإنسانية تختلف عن الحيوانات التي تعيش حياة روتينية تتجلى فقط في حصولها على الطعام اليومي والراحة والشهوة، ولذلك فهي لا تملك ملكة عاقلة تجعلها قادرة على توقع سيحدث في المستقبل أي أنها تفتقر لسبل الفكر، لكن الإنسان عكس ذلك، يحلل ويفسر كل الأحداث ويستنتج ويتوقع ما قد يحدث ويفترض الأسباب من خلال ملكة المخيلة. ولكن رغم ذلك فالإنسان يعيش نوعا من القلق ومصدر هذا القلق وهذه الإحساسات هي الانفعالات. وبالتالي فالانفعالات هي أصل الدين، لأن خوف الإنسان من المستقبل هو جهله بالأسباب وهذا الجهل يولد نوعا من الخوف والرعب في حياته، مما يجعله يصنع دينا أو إلها يعتبره مصدرا للراحة والعطاء والهناء وتوقع الخير." هذا الخوف المستمر الذي يصاحب الجنس البشري دائما جراء جهله بالأسباب، كما لو كان الظلام، لا بد أن يكون له موضوع ما. وبالتالي عندما لا يكون هناك شيء مرئيّ، لا يكون هناك ما يتهمه المرء بحظّه الحسن أو السيء، باستثناء سبب أو عامل غير مرئي: وقد يكون هذا هو المعنيّ في قول بعض الشعراء القدامى إن الآلهة قد خلقها في البداية خوف الإنسان وهذا صحيح جدا فيما يختصّ بالآلهة"[2].

إن سعي الأفراد لصناعة إله أو دين أو الانتماء إلى جماعة دينية معينة، ناتجة عن الخوف والجهل بالأسباب والبحث عن الخير والأمان. فالأفراد يعتمدون على أذهانهم وأوهامهم ومخيلتهم في صناعة هذه الآلهة والديانات؛ مع العلم أن هذه الأسس هي ضعيفة جدا؛ فالمخيلة ذات معارف ضعيفة، ولا يمكنها أن توصل الإنسان إلى الحقيقة التي يبحث عنها. لكن البحث عن أصل هذه الآلهة تجعل من الفرد يسقطها على شكل صورة الإنسان " أما بالنسبة إلى مادة أو جوهر هذه العوامل غير المرئية التي يتخيلونها، فإنهم لم يتمكنوا بتفكيرهم الطبيعي أن يقعوا على أي مفهوم لها باستثناء أنها مماثلة لروح الإنسان، وأن روح الإنسان هي جوهر ما يظهر في الأحلام لمن يكون نائما، أو في المرآة لمن يكون صاحيا؛ ويعتقد الناس، وهم لا يعلمون أن مثل هذه الظهورات ليست سوى مخلوقات الخيال، إنها جواهر حقيقية وخارجية، ويسمونها بالتالي أشباحا"[3].

وبالتالي الدين مسألة تخص الإنسان ويتوصل إليه عن طريق التأمل، ويعترف به ويقوم بتكريمه بصفات عليا وسامية ، ويصبح الإيمان التام بما يتعلق بالحظ والنحس وبعض الانطباعات والتمثلات الخرافية والشعوذة والسحر، تجعل من الإنسان صانعا للدين بطقوسه وانطباعاته .

ثالثا: يشير هوبز إلى مسألة مهمة تدخل ضمن طقوس الدين وهي العبادة ، والتي يظن الناس أنها تعبير عن الاحترام للقوى غير مرئية، ويقصد بها الله والملائكة ... لأن هذه القوى توجد في الديانات السماوية ؛ حيث يقول هوبز" **فإنها لا يمكن أن تكون سوى تعبيرات عن احترامهم ، كتلك التي يستعملونها مع البشر: الهدايا، الالتماسات، الشكر، إخضاع الجسد، خطابات التبجيل، السلوك الرصين، الكلمات المحضّرة مسبقا، أداء القسم (أي تأكيد وعودهم الواحد للآخر) من خلال ذكرها. والعقل لا يطرح شيئا أبعد من ذلك، بل يتركهم إما ليتوقفوا عند هذا الحد أو يعتمدوا على من يعتقدون أنهم أكثر حكمة منهم من أجل مزيد من المراسم**"[4].

رابعا: يصبح الفرد في دوامة من القلق والجهل، بما سيقع وهل حظه سيجلب له الخير أو الشر وهل عمله سيجلب له النجاح أم الفشل وربط الحاضر بالماضي. ومن هنا يتضح لنا مدى خوف الإنسان المستمر جراء الجهل للمعرفة الحقيقية واليقينية وبالتالي فهذه الأسباب الأربعة هي الجذور الطبيعية للدين.

إذا أردنا أن نتساءل عن نشأة الدين لابد من العودة إلى أرضيته الأولى؛ أي الأسباب التي آدت إلى نشأته، وتعود هذه النشأة من الدرجة الأولى إلى أربعة عناصر أساسية: 1-الاعتقاد بالأشباح. 2-والجهل بالأسباب الثاوية وراء الظواهر الطبيعية. 3-تعبد البشر تجاه ما يخشونه. 4-اعتبار الحوادث العرضية توقعات.في السياق ذاته، يعتبر توماس هوبز أن هناك نوعين من البشر خص بزراعة هذه البذور الأولى للتدين، **النوع الأول** هم أولئك الناس الذين ابتكروه بناء على فكرهم ومعرفتهم الخاصة. أما **النوع الثاني** قام بذلك من خلال الأوامر الإلهية، والغاية التي يهدف إليها كلا الطرفين حسب هوبز هي الطاعة واحترام القوانين والسلام..." هكذا فإن النوع الأوّل من الدين هو جزء من السياسة البشرية، وهو يعلّم بعضا من الواجبات التي يطلبها ملوك الأرض من رعاياهم. والنوع الثاني من الدين هو سياسة إلهية، وهو يتضمن تعليمات للذين يعتبرون أنفسهم رعايا في مملكة الله. وينتمي إلى النوع الأول كل مؤسّسي الدول، وواضعي القوانين من الوثنين، وإلى النوع الآخر ينتمي إبراهيم وموسى ومخلصنا المبارك، الذين أتوا إلينا بقوانين مملكة الله"[5].

فمن خلال هذا التقسيم الذي وضعه هوبز

يمكننا القول فيما يخص النقطة الأولى أنه إذا كانت الدولة صناعة بشرية فحتى الدين صناعة إنسانية، أما بخصوص السياسة الإلهية ؛ فهذا هو النقاش الذي سيطوره هوبز في القسمين الثالث والرابع من كتاب اللفياتان؛ حيث سيتطرق إلى مسألة الدولة والكنيسة .

" وقد ألّهوا أيضا وبنوا معابد لمجرد حوادث وصفات، مثل الزّمن والليل والنهار والسلام والوفاق والحب والرضى والفضيلة والشرف والصحة والصداع والحمى وما إلى ذلك ، وكانوا حين يصلّون من أجلها أو ضدها يصلّون لها كما لو كان هناك فوق رؤوسهم أشباح تحمل أسماءها، وهي التي تسقط عليهم، أو تمنع عنهم الخير أو الشر الذي يصلّون من أجله أو ضده[6]. كل هذه التسميات ما هي إلى نتيجة للتفسيرات الوهمية للإنسان، وبالتالي فالجهل يجعل من الإنسان يتصرف خارج عن القواعد الصحيحة. حيث يقول هوبز " وهكذا فقد نسبوا سبب الخصوبة إلى الزهرة أو سبب الفنون إلى أبولو، والحنكة والمهارة إلى عطارد، والزوابع والعواصف إلى إيولوس، والتأثيرات الأخرى إلى آلهة أخرى؛ لدرجة كان معها أن يكون عند الوثنيين تنوع في الآلهة يوازي تنوع الأعمال."[7]

كل هذه الآلهة هي من صنع الإنسان؛ وفي غياب للمنهج العلمي الذي يفسر كل الأشياء بناء على أسس علمية، لجأ الناس إلى صنع الآلهة، ومن ثمة نسبوا إليها كل ما تجوب به الأرض على الإنسان إلى تفسيرات غير منطقية.

من هنا نصل إلى أن الطبيعة البشرية تتجذر في الأوهام، إذن ليست هناك أحداث خرافية وإنما هناك تفسيرات خرافية ووهمية، تقود الإنسان إلى الجهل، وأبعد من ذلك أصبح الإنسان يلتجأ إلى العرافين لمعرفة حظوظهم وقراءة المستقبل والسعي نحو أعمال السحر والشعوذة وقراءة الطالع في خطوط اليد، والإنسان أصبح ينجذب ويستغل لهذه الخدع." فإنه من السهل جر البشر إلى تصديق أيّ شيء يقوله الذين يثقون بهم، والذين يقدرون بلطف وبراعة أن يستغلّوا مخاوفهم وجهلهم"[8]. وهذه التفسيرات التي قدمها هوبز ؛هي تفسيرات ذات طابع ليبرالي بحيث قام بفك مسألة الفهم الحقيقي للدين .

ولقد قام العديد من الوثنين بجعل الناس يعتقدون إن كل ما يقومون به في التعاليم الدينية هو من أوامر الإله، وأن تعاسته تكون من غضب الآلهة وهذا الغضب ناتج عن إهمال في العبادات والطقوس أو الخطأ في شيء، والعكس صحيح. " وبواسطة هذه المؤسسة وغيرها نجحوا في تحقيق غايتهم، وهي سلام الدولة.. وبما أن الناس كانوا يلهون برفاهية وتسلية المهرجانات والألعاب العامة التي كانت تقام تكريما للآلهة، فإنهم لم يكونوا بحاجة إلى أكثر من الخبز لمنعهم من السخط والتذمّر والتحرك ضد الدولة. لهذا السبب كان الرومان، اللذين غزوا القسم الأكبر من العالم المعروف آنذاك، لا يترددون في التسامح مع أيّة ديانة في مدينة روما نفسها، إلا إذا كانت تتضمن شيئا لا يمكن أن يتفق مع حكومتهم المدنية؛ ولا نقرأ عن أيّة ديانة قد حظرها الرومان، باستثناء ديانة اليهود الذين (كونهم شعب الله الخاصّ) كانوا يعتقدون أنه من غير المشروع الاعتراف بأي ملك فان أو دولة فانية. وهكذا فإنك ترى أن أديان الوثنين كانت جزءا من سياستهم."[9].

إن هوبز لا يفرق بين الديانات الوثنية والديانات السماوية وإنما ذهب إلى البحث عن الجذور الطبيعية للدين وأصل التدين واعتبر أن الدين ظاهرة حاضرة في الطبيعة البشرية ويجب التحكم فيها، بل إن أصل الدين مصدره القلق الإنساني، وإلا فالإنسان سيصبح كتلة من المعارف الخاطئة. وأن معظم اللأمراء يستغلونها في إمارتهم، لجعل الناس تحت طاعتهم ويصبح الدين أدلجة للسياسة." ولكن حيث زرع الله بنفسه وبوحي يفوق الطبيعة، فإنه صنع لنفسه أيضا مملكة خاصة وأعطى القوانين، ليس فقط بالنسبة للسلوك تجاهه، بل كذلك تجاه الآخرين؛ وبهذا تكون السياسة والقوانين المدنية في مملكة الله جزءا من الدين "[10].

2: التأويل

إن تناول طبيعة الدين ووظيفته، تقتضي بالضرورة اللجوء إلى مسألة التأويل؛ أي تأويل الكتاب المقدس وترمي طبيعة هذا التأويل إلى النظر في المفاهيم التي يحتويها الكتاب المقدس والتي لها دلالات دينية وتفسيرات ذات طابع ديني أيضا، لذلك فالتأويل يشمل الكتاب المقدس والمفاهيم الدينية التي تتجلى في مسألة (***النفس أو الروح والجسد والملائكة والمعجزات...***)، إن مسألة التأويل عند توماس هوبز مهدت للدولة الليبرالية. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق؛ **هو ما العلاقة بين تأويل الكتاب المقدس وتأسيس الدولة؟**

للإجابة عن هذا السؤال، يمكن القول إن المشكل الأساس الذي يثير عند هوبز نقاشه للمسألة الدينية، ومن ثم استدعاء الكتاب المقدس لتأويله والوقوف عند أصوله الصحيحة، يتعلق أساسا بما إذا كانت الطاعة واجبة **للحاكم أم للإله؟** فنظرا لكون الكنيسة تعتبر أن الأفراد من الواجب عليهم طاعة الله في الأرض، فإن الإشكال هو؛ **كيف يمكن طاعة الحاكم المطلق في الأرض بدل الله؟**إن هذه المشكلة تعد منبع وأصل الإشكال اللاهوتي في فلسفة هوبز من حيث اهتمامه بالمسألة الدينية، بل ومنه يباشر قراءته العقلية والنقدية للكتاب المقدس محاولا تأويله وتفسيره بغية فك غموض التصورات التي يحملها رجال الدين وأباء الكنيسة بشكل عام.

" لهذا السبب، لا يجوز إنكار حواسنا، ولا خبرتنا، ولا عقلنا الطبيعي (الذي هو دون شكّ كلمة الله). في الواقع، إنه الرصيد الذي أودعه بين أيدينا بهدف المفاوضة، وإلى حين عودة مخلصنا المبارك، بحيث لا يغفلها إيمان ضمني، بل تستخدم لشراء العدالة، والسلام، والدين الحقيقي. والسبب، هو إن كلمة الله تحوي على أمور عديدة تفوق العقل، أي لا يجوز إثباتها أو دحضها بالعقل الطبيعي، وعلى الرغم من ذلك، لا شيء يخالفها؛ ولكن، وعندما تكون الحالة كذلك، يكمن الخطأ إمّا في تفسيرنا الأخرق، أو في سوء استعمال منطقنا"[11].

من هنا يرى هوبز أنه من الواجب إعادة النظر والتأويل في الأمور اللاهوتية، وذلك من خلال الألفاظ والمفاهيم؛ أي وضعها تحت مجهر الفحص، والشك والنقد، باعتبار أن مسألة الأمور اللاهوتية ، تحوي في طياتها العديد من الأسرار والألغاز الغامضة ، ويجب فكها واكتشاف حقيقتها " وعليه، فعندما يكون شيء مدوّن في غاية الصعوبة بالنسبة إلى قدراتنا على الدراسة، يضطرنا الأمر إلى تركيز قدرتنا على فهم الألفاظ، وليس على السعي لاستخلاص حقيقة فلسفية عبر المنطق، حول هذه الأسرار غير المفهومة، وغير المرتبطة بأيّ قاعدة من العلوم الطبيعية. والسبب هو وجود الأسرار في ديانتنا، على غرار تلك الأدوية التي فور ما يتناولها المريض، يشعر بمنفعتها الشافية، بينما قد تكون دون مفاعيل، ومرفوضة بغالبيتها، إذا ما فكّرنا بها مليّا"[12].

ما ترويه لنا القصص الدينية هو أن الكتاب المقدس منزل من الله من طرف شخص كلمه الله، يحلل هوبز هذه القضية بناء على العقل والشك حيث يقول " **وعندما يتوجه الله إلى البشر، يجب أن يكون ذلك إمّا مباشرة، أو شخص معين، فقد يسهل فهم هذا الأمر ممن تحدّث إليه الله بهذه الطريقة؛ ولكن كيف يفهم الأمر من شخص آخر، إذ قد تكون معرفة ذلك صعبة**"[13].

" في الواقع، لا يعني القول في الكتاب المقدس إن الله توجه إليه، أنه تكلّم إليه مباشرة، بل بواسطة الأنبياء أو الرسل أو الكنيسة، بالأسلوب الذي يتكلّم به مع المسيحيّين الآخرين كافة. والقول إن الله كلّمه في الحلم، لا يعني أنه حلم بأن الله كان يكلّمه؛ ولا يعني ذلك إرغام أيّ أحد على تصديق الأمر، لأن الشخص يعرف أن الأحلام طبيعية، وقد تأتي من أفكار سابقة؛ فهناك الأحلام الآتية من الكبرياء، ومن الفرضية البلهاء، والاعتداد السخيف والفكرة الخاطئة التي يكونها شخص حول قداسته الشخصية، أو حول فضيلة أخرى، يتصور من خلالها أنه استحق نعمة وعي لا مثيل له "[14].

إن إعادة النظر في مصداقية الكتب المقدسة، تجعل من هوبز محللا ومفسرا لكل الخطوات والأشياء التي تعطي صفة القدسية، وبالتالي فقضية الحلم التي يتوصلون إليه رجال الدين والمشعوذين عن طريق التبشير وعلامات النبوءة ... بالنسبة لهوبز كل من نراه في أحلامنا ليس حقيقة مطلقة أو علامات تدل على أشياء ذات رموز ودلالات معينة ، فالحلم أحيانا يترجم بعض الأفعال التي يقوم بها الإنسان في النهار تأتيه على شكل صور أثناء النوم ، وبالتالي فالعقل الطبيعي للإنسان ليس مجبرا بتصديق كل هذه الأمور لذلك وعلى الرغم من أن الله قادر على التكلم مع أيّ شخص عبر الأحلام، والرؤى، والأصوات، والوحي، فهو لا يرغم أحدا على التصديق بأنه توجّه على هذا النحو إلى من يدّعي ذلك، والأخير الذي يزعم ذلك (وهو إنسان) قد يخطئ، كما قد يكذب(في أغلب الأحيان)، الإنسان بالنسبة لهوبز ليس مصدر الصدق والحقيقة ؛ أي أنه ممكن أن يخطأ . وبالتالي تصبح هذه الأمور موضع الشك وعلى الإنسان أن يفكر في الأمر.

هوبز يضع كل ما هو مقدس ومنزل موضع الشك لمعرفة صحتها، لذلك شكك هوبز في الكتاب المقدس والمعجزات والنبوءة والشهادة والعقيدة، وهذا الشك جعله يعيد النظر في المجال الديني وقراءة النصوص قراءة نقدية ..." **فإن الأعاجيب التي ترغمنا على تصديق نبي معين، يجب إثباتها بحدث فوري أو غير بعيد. بحيث يبدو جليا أن تعليم الدين الذي وضعه الله، وأمر إظهار أعجوبة حالية، قد أعتبر معا العلامتين الوحيدتين اللتين بموجبهما أقرّ الكتاب المقدس بوجود أنبياء حقيقيّين، أي بوجود وحي مباشر معترف به؛ أمّا إن وجدت إحداها دون الأخرى، فلن تكون كافية لإرغام أيّ كان غيره على أن يأخذ بعين الإعتبار ما يقوله**"[15].

ولعل الكتاب المقدس هو الشامل لكل ما يخص المسألة الدينية؛ أي الله والأنبياء والمعجزات والوحي والعبادات والعقيدة...وغاية هوبز من التأويل هي تفسير كل هذه الظواهر والإشارات، مع الإعتماد على ما يقبله الفكر والعقل، أما ما يقع خارج حدود العقل والطبيعة، يضعه هوبز في خانة الشك وعدم قبوله.

" صحيح أن الكتاب المقدس لا يختلف عن قوانين الطبيعة، لكنّه، ودون أدنى شكّ هو من قوانين الله، فيحمل سلطته في صلبه، وهذا أمر واضح لمطلق إنسان يستخدم المنطق الطبيعي. لكنّ المسألة ليست مسألة سلطة مختلفة عن أيّ عقيدة أخرى أخلاقية مطابقة للعقل، بحيث ليست إملاءاتها موضوعة، وإنما أبدية "[16].

" فإن لم يكشف له الله، بصورة تفوق الطبيعة، أن هذا الكتاب المقدس هو من قوانينه، وأنه أصبح علنيا على يد مرسلين من قبله، لن يكون ملزما بإطاعته باسم أيّ سلطة كانت، باستثناء سلطة من كان لأوامره قوّة القانون، أو بعبارات أخرى أي سلطة أخرى غير سلطة الدولة"[17].

3: الجسم والروح والملائكة والوحي والمعجزات في الكتاب المقدس

أولا: الجسم

إن مسألة التأويل شملت الروح والملائكة والوحي، وهذه المفاهيم يجب تحديد معناها ومناقشتها والبحث عن معناها الصحيح ، وقد قام هوبز بتحليل طبيعة الجسم ونسبه إلى مادة واعتبر أن الجسم جزء من الكون لأن الكون يتشكل من مجموعة من الأجسام " يطلق أيضا على الجسم تسمية المادّة، أي تلك المعُرّضة لسلسلة من الأحداث، على غرار التحرّك تارة والجمود طورا، قد يبدو جسمٌ مُعين تارة حارّا، وتارة باردا، وتارة ذا لون أو رائحة أو طعم أو نغم معين، وطورا على نحو آخر. وقد ننسب هذا المظهر المتغيّر (الناتج عن الأساليب المختلفة التي تؤثر فيها الأجسام على أعضاء أحاسيسنا)، إلى فساد الأجسام الفاعلة، فنُسميه حوادث هذه الأجسام استنادا إلى هذا المعنى، تعني لفظة المادّة والجسم الشيء عينه، وبالتالي فإذا ما جمعنا بين لفظتي مادّة غير حسيّة، ستدمر

كل منهما الأخرى، وكأنما نتحدّث عن جسم غير حسّي."[18] إن هذا الجسم متغير بتغيير الأحوال كما وصفه هوبز في هذا النص لأنه مادة، وهذه المادة معرضة للتغيير لأحوال متعددة ووضعيات مختلفة من حيث الشكل أي المظهر كاللون أو من حيث المضمون وكالبرودة أو الرطوبة أو الطعم، وهذا الجسم المكون من أعضاء وحواس التي تترجم وتعبر عن تلك المتغيرات.

ثانيا: الروح أو النفس

إن النفس ليست مادة كما الحال عند الجسم، لكن النفس لا ترى أي ليست مادة مرئية " **سيكون المعنى الحقيقي للفظة روح في اللغة الشائعة، إما دقيقا، وسلسا وجسما غير مرئي، وإما شبحا أو أيّ صورة أخرى وهما من الخيال، كما لهذه اللفظة أيضا عدّة معان استعارية في الواقع، وعندما تؤخذ أحيانا بمعنى الاستعداد، أو أسلوب التفكير، أي عندما تتّجه إلى انتقاد ما يقوله الآخرون، وفي مسألة الميل إلى النفس، نتحدث عن روح مهجوسة، وبشأن التجهّم، نتحدّث عن روح مُنغلقة، وبشأن الميل إلى التقوى والى خدمة الله، نتحدّث عن روح مُتديّنة؛ وأحيانا، قد تُستخدم هذه اللفظة، في حالة كفاءة كُبرى، أو ميل خارق، أو مرض عقلي، وذلك عندما تُسمى الحكمة الكبرى بروح الحكمة، وعندما يُقال عن المجنون انه مسكون بالأرواح**".[19]

ويرى هوبز أن لفظ روح يتخذ معاني عديدة وصفات كثيرة يختلف الناس في تصورهم له. ، أما في الكتاب المقدس فالنفس تتخذ طابعا دينيا وإلهيا كالقول إن الله روح حيث يوضح هوبز "**عندما يقال في سائر الكتاب المقدس إن الله روح أو عندما تعني عبارة روح إلهية الله ذاته. والسبب هو أن طبيعة الله غير مفهومة، أيّ أننا لا نعرف شيئا عن هويّته، بل نعرف أنه موجود. لذلك فان الخصائص التي نمنحه إياها، لا تهدف لإفادة بعضهم الآخر عن هويّته، كما لا تهدف إلى التعبير عن رأينا فيه، بل تعكس رغبتنا في تكريمه بواسطة هذه الألفاظ التي نعتبرها الأسمى**"[20].

وبالتالي فالروح مرتبطة بالله في الكتاب المقدس في حين يرى هوبز أنها من الخيال حيث يقول هوبز" **لا تعني لفظة روح في النصّ هذا النوع من الأشياء، بل تعني المادّة الحقيقيّة، أو من باب الاستعارة، تعني الأهليّة أو العاطفة، الخارجتين عن المألوف والمُنبثقتين عن الفكر أو عن الجسد.**"[21] وبالتالي يرى هوبز أن ما يميز الأجسام أنها مادّة مرئية وقابلة للحركة ولا يمكنها أن تكون صورا وأشباحا ولا تخضعنا لأنها حسية وذلك يتجلى من خلال حواسنا التي تثبت طبيعة ذلك الجسم، وبالتالي المادّة غير الحسية حسب هوبز تعتبر أمرا خياليا، لكن إذا كانت حسية ستتخذ طابعا حقيقيا.

ثالثا : الملاك أو الملائكة

يعود معنى الملائكة في الكتاب المقدس إلى الرسول حسب هوبز حيث يقول " **وتعني لفظة ملاك بشكل عام، الرسول وغالبا رسول الله. ورسول الله هو أيّ شيء معروف بحضوره غير العاديّ، كأن يُعبّر عن قدرته عبر الحلم أو الرؤيا بشكل خاص**"[22].
وهذه الملائكة حسب هوبز تظهر في الأحلام والرؤى وهي صور غير حقيقية وممدودة المدى لأنها ليست مواد حقيقية ولا يمكن لمسها والإحساس بها بل هي صور وإيحاءات من صنع الدماغ يبعثها الله بشكل غير طبيعي أي شيء يفوق الطبيعة للإعلان عن إرادته وقدراته وخدمة مصالحه وهي تسمى ملائكة الله وهي نوعين الشريرة والخيرة " يعتبرونها ملائكة الله إذا كانت خيرة ، وملائكة الشرّير إن كانت سيّئة، أو يدعونها أرواحا شرّيرة، إن ظنّوا أنها قد تأتي بالسوء."[23]

وبالتالي فالملائكة لا تعرف شكلها وإنما ما تقوم به فهي تعلن عن وجود الإله الذي سخرها لتوصيل الرسالة، في حين هذا الشيء الملاك حسب هوبز لا يمكن معاينته أو رؤيته فهو يسخره الله من خلال قوى تفوق الطبيعة. وقد نسب لفظ الملاك على أنها تعني الرسول وهي إشارة وعلامة على وجود الله وأيضا هناك شخصيات مقدسة تحمل اسم الملاك ؛ فقد سمي يوحنا المعمدان بالملاك والمسيح بملاك العهد .

يعطي هوبز تفسيرا حول هذه الظواهر إن صح القول بخصوص الروح والملائكة ،باعتبار إن لا وجود لهما بشكل ملموس " فالنسبة إلى من يعرفون معنى الألفاظ التالية: مادّة، وغير حسّي، طالما أن لفظة غير حسي لا تعني الجسم الدقيق، بل اللاجسم، تؤدّي هاتان اللفظتان إلى التناقض، إلى حدّ أن نعت الملاك أو الروح بالمادّة غير الحسّية، يعني انه لا وجود في الواقع للملاك ولا للروح على الإطلاق. وعليه، ومن خلال دراسة معنى لفظة ملاك في العهد القديم، وطبيعة الأحلام والرؤى الحاصلة داخلنا وفقا للأساليب الطبيعية العادية، اضطُررتُ إلى اعتماد الرأي القائل بان الملائكة ليسو سوى ظهورات خارقة للطبيعة، لنزوات خيالية، تُثيرها أعمال الربّ الخارقة الفريدة ، التي يُعلن من خلالها عن وجوده، ويوصل أوامره إلى الصنف البشري، وبخاصة إلى شعبه الخاص. لكنّ مقاطع العهد الجديد العديدة وأقوال مُخلّصنا، وتلك النصوص التي لا يمكن الشكّ في تشويهها الكتاب المقدّس، قد انتزعت من عقلي العاجز إقرارا واعتقادا بوجود ملائكة مادّيين ودائمين. بالعكس، أن الظن بأنهم لا يشغلون أيّ مكان، أيّ أنهم لا يوجدون في أيّ مكان، وأنهم لا يُساوون شيئا، وفقا لمن يقول (بطريقة غير مباشرة) أنهم غير جسمانيين، وهذا ما يستحيل إثباته عبر الكتاب المقدس"[24] .

إذن فالمعنى الذي توصل إليه هوبز من خلال دراسته لفظ ملاك أن العقل لا يمكن أن يثبت بالبرهان العقلي أو التجريبي وجوده، لأنه ليس جسما ماديا.

رابعا: الوحي

إن مسألة الوحي في الكتاب المقدس شأنها شأن النفس والجسم والملائكة فهي أيضا تدخل ضمن المقدسات الدينية والقوى الإلهية تفوق الطبيعة أي أنها تظهر قوة الإله الخارقة " ترتبط لفظة الوحي بالروح. فيجب أن يؤخذ الوحي إما بالمعنى الحقيقي، فيكون ليس أكثر من نسمة ناعمة يجري ضخها، أم أنه هواء يجري نفخة بواسطة النفس، كما تجري تعبئة المثانة؛ أمّا وإذا كانت الأرواح يغر حسيّة، ولا توجد إلا في نزوات الخيال، فلن يكون المر أكثر من بثّ الوهم، وهذا لا يعني شيئا وهو مستحيل، لأن الأوهام ليست بشيء، بل تبدو فقط على أنها شيء."[25] بالنسبة لتوماس هوبز أن معنى الوحي هو استعارة في الكتاب المقدس فالوحي بالنسبة له اتخذ معاني غير صحيحة وان كانت تعني القدرات الإلهية والنعام الإلهية التي يمنها الله على البشر .

خامسا: المعجزات

المعجزة هي أشياء تقع تبهر الناس وتثير الغرابة والدهشة لأنها أشياء تفوق الطبيعة وتسمى في الكتاب المقدس بالإشارات ، وهذه الإشارات مصدرها الله والمعجزة حسب هوبز هي وقوع أشياء غريبة غير اعتيادية . وبالتالي يرى هوبز أن بعض الأشياء قد تحدث تكون له أسباب طبيعية وهي عادية ولا تستحق أن نقولها عنها معجزة وعلى الإنسان أن يحلل الأشياء والظواهر التي تحدث ،لأن لكل شخص زاويته في تحليل والآراء تختلف من شخص إلى آخر في حين نجد هوبز يقيم مقارنة بين الناس الأذكياء الطنين التي قد تبدو لهم بعض الأمور عادية وليست معجزة في حين هناك فئة قد تنبهر بأشياء عادية وتدرجها ضمن المعجزات وهنا يظهر لنا مستوى الذكاء والتفكير واليقظة عن الأشخاص " وبما أن الإدراك والدهشة ينتجان عن المعرفة والخبرة التي يملكها كلّ شخص بنسبة مقبولة، يؤدي ذلك إلى جعل الأمر ذاته مُعجزة بنظر شخص معين، وحدثا عاديّا بنظر شخص آخر. بهذه الطريقة، يصاب الجهلة والمؤمنون بالخُرافات بالدهشة أمام تلك الظواهر بدرة أعلى من غيرهم، المدركين أنها من الطبيعة (وهي ليست من عمل الله المباشر، بل من عمله العادي)، فلا يُعجبون على الإطلاق."[26] إذن فالأشخاص المتيقظين يميزون بين ما يفوق الطبيعة ماهو طبيعي وعادي .

ولمعرفة طبيعة هذه المعجزات يبحث توماس هوبز عن مصداقيتها وهذه المصداقية يجب أن يتقبلها العقل الإنساني " إن طبيعة المعجزة تقتضي بأن تحصل لإعطاء مصداقية لمرسلي الله، لكهنته وأنبيائه، بحيث نتمكن من معرفة أنهم مدعوّون ومُرسلون ومُستخدمون من الله، وأن هذه الوسيلة تجعلنا مستعدين بأفضل قدر مُمكن على إطاعتهم. ويترتب على ذلك، أنه وعلى الرغم من خلق الكون، وبعد تدمير جميع الكائنات الحية في الطوفان العام، وهي أعمال مذهلة، مع ذلك ، وبما أن هذه العمال لم تحصل لإعطاء مصداقية لأي نبي، أو لأي كاهن من كهنة الله، لم تطلق عليها تسميات المعجزات. والسبب هو أنه مهما كان العمل مذهلا، فلن يمكن الذهول في إمكانية حُدوث المعجزة ، لأن البشر يعلمون تلقائيا أن القدير قادر على فعل كلّ شيء، بل يكمن في حدوثه بنتيجة صلاة أو كلمة مُعيّنة."[27]

وبالتالي يرى هوبز أن الأرواح المخلوقة لا تستطيع القيام بمعجزة وأن المعجزة سببها طبيعي أي تدبير طبيعي ويدعو الناس إلى التحلي بالعقل في التفسير للظواهر الطبيعية وعدم تصديق ما يروج والتسليم به ، بل يجب التشكيك في الأمور وعلى الجنس البشري أن يتمتع بالتفكير الحر في معرفة الأشياء والبحث في مواضعها ومصدرها حتى يميز بين المعجزة والأكذوبة .

4: السلطة الدينية (الكنيسة)

يطرح هوبز سؤالا هو كيف يمكن للفرد أن يطيع الرب والإنسان في نفس الوقت، مع العلم أن الأمر ليس سهلا، لأن لكل منها نظرياته، وقد يحدث تعارض بينهما، ويصبح الإنسان حائرا فيمن يطيع.حيث يقول هوبز"**وبغية معرفة الواجب المدني بصورة كاملة، ينبغي فقط معرفة قوانين الله هذه. دون ذلك، لا نعرف عمّا إذا كان كل ما تأمر ربه السلطة المدنية مخالفا أم لقانون الله؛ كما لا نعلم عمّا إذا كانت الإطاعة المدنية المفرطة، قد تضر بالله، أم أن مخالفة الإضرار بالله، تشكل مخالفة لأوامر الدولة. ومن اجل تفادي هاتين العقبتين، من الضروري معرفة ماهية القوانين الإلهية. ولمّا كانت معرفة كل قانون مرتبطة بمعرفة السلطة المطلقة، سوف يجري أدناه عرض ماهية ملكوت الله**"[28].

حسب هوبز **فاللفياتان** أي الإله الفاني، يجب أن تكون بيديه السلطتين معا أي على السلطة الروحية أن تكون خاضعة للسلطة الزمنية. وبالتالي على الأفراد أن يكونوا على معرفة بالقوانين الإلهية والقوانين المدنية التي ستصبح تحت حكم السلطة المطلقة. لن تصبح سلطة الكنيسة هي الحاكمة بل السلطة المدنية، لأنه حسب هوبز السلطة الكنسية يجب إعادة النظر فيها، نظرا لما تشوبها من أخطاء وتقوم باستغلال الأفراد بدعوى أنها تتلقى أوامرا من الله ... ويوضح هوبز هذه المسألة حيث يقول "**من الواضح أن السلطة الكنسية كانت قائمة على الرسل، وبعدهم على الذين عيّنوهم للتبشير بالإنجيل وهداية البشر إلى الديانة المسيحيّة، وتوجيه من كانوا قد اهتدوا إلى درب الخلاص .وبعد ذلك انتقلت السلطة مجددا إلى الآخرين من الذين كانوا معيّنين؛ وقد جرى ذلك عبر وضع الأيدي على أولئك المعيّنين الجدد**"[29].

يقوم هوبز بعرض تاريخي للدين والسلطة الكنسية، وذلك من خلال استحضار الأنبياء الذين كانوا يحكمون بأمر من الله، حيث كانوا يقومون بدعوة الناس إلى الطاعة والإيمان. ويستدل هوبز من خلال المسيح والنبي موسى وابراهيم ..." **يقوم دور المسيح في هذا العالم، على حمل الناس على الإيمان وعلى ترسيخ ثقتهم بالمسيح. والإيمان لا يرتبط بالإكراه، ولا بالإمرة، ولا يقوم عليهما، بل يرتبط فقط باليقين والإثباتات المستخلصة من المنطق، أو بما يؤمن به البشر مسبقا. وبالتالي، ليس الكهنة المسيح أي سلطة، في هذا العالم، في معاقبة أي شخص لا يؤمن بما يقولون أو يعرضهم الرأي. وإذ أقول إن صفة كهنة المسيح تلك لا تمنحهم أي سلطة للمعاقبة؛ بالمقابل، إن كانوا يتمتعون بالسلطة المدنية المطلقة بموجب التأسيس السياسي، حينئذ، يمكنهم معاقبة كل من يخالف قوانينهم في أي مسألة، وذلك بصورة مشروعة**"[30].

وبالتالي فالسلطة التشريعية كانت بيد الأنبياء والرسل والكهنة، حيث يقول هوبز" **فإن الحكم الذي كان يستبعد أحدا من الكنيسة، كان يصدر عن الرسول أو الكاهن، أما الحكم في مضمون القضية، فكان يعود إلى السلطة الكنيسة، أي(طالما أن الفترة كانت سابقة لاهتداء الملوك وللذين يملكون السلطة في الدولة) إلى مجموعة المسيحيّين المقيمين في المدينة ذاتها**"[31].

يقوم هوبز بعرض طبيعة السلطة الدينية من خلال الكنيسة والرسل والأنبياء والكهنة، ويستخلص هذا من الكتاب المقدس الذي يعد هو المصدر الذي يستقي منه هذا السلطة ويستقيها شخص المسيح باعتباره شخصا مفوضا من الإله " المخلص المبارك " من العقاب الذي سيتعرض له الأفراد ومن أمر من الله يدعوا الناس إلى الطاعة والعبادة وبالتالي فمصدر السلطة في هذه القضية هو الدين أي السلطة الدينية ، لكن هوبز من خلال بناء الدولة له موقف صارم وقوي يوضح هوبز هذه السلطة الدينية باعتبار أن زمنها انتهى وأن متطلبات العصر تفوق هذه الأمور وبالتالي يجب أن تتدخل السلطة المدنية حيث تصبح الدولة مالكة للسلطتين ولعل صورة الغلاف خير توضيح لهذه المسألة .ولكن تظل لسلطات الكنيسة دور في تشكيل الدولة " **من يؤمن أن يسوع هو المسيح، فهو بعيد عن كل الأخطار التي تهدد الأشخاص المحرومين. ومن لا يؤمن بهذا المبدأ، فليس مسيحيا. يترتّب على ذلك، أن المسيحي الحقيقي والمخلص، غير قابل للحرم، على غرار من يصطنع المسيحية، إلى أن يظهر نفاقه في تقاليده، أي إلى أن يبدو تصرّفه مخالفا لقانون حاكمه المطلق، هذا القانون الذي هو قاعدة التقاليد كافة،والذي طلب منّا المسيح ورسله أن نخضع له. في الحقيقة، لا تستطيع الكنيسة أن تحكم على التقاليد سوى عبر الأفعال الخارجية، وهي أفعال دائما مشروعة، إلا عندما تخالف قانون الدولة**"[32]. وهذا هو التشريع القانوني الذي كان يسير عليه الأفراد" **أما هداية الوثنين، فلم يكن من الضروري التذرّع بالكتاب المقدس الذي لم يؤمنوا به. لقد كان الرسل يسعون إلى دحض عبادتهم للأوثان عبر المنطق؛ وفور إنجاز هذه المهمة، كانوا يدعونهم إلى الإيمان بالمسيح، مستشهدين بحياته وقيامته. لذلك، لم يكن الجدال ممكنا في شان السلطة في تفسير الكتاب المقدس، طالما أن أحدا لم يكن ملزما، وهو غير مؤمن، بإتباع تفسير أي كان في شأن أي كتاب مقدّس_ عدا تفسير الحاكم المطلق لقوانين بلده**"[33].

يشير هوبز في عرضه التاريخي للسلطة الدينية، ذلك الخلاف الذي كان بين الوثنين وبين المسيح في المسألة الدينية والإيمان والطاعة حيث كانوا يخالفونه في مبادئهم باعتبارها باطلة وان الدين المسيحي هو الصحيح.

ولقد كانت مشكلة الطاعة هل طاعة السلطة الكنسية أو السلطة المدنية في نشوب الحروب " **لعلّ أكثر أسباب الفتنة والحرب الأهلية في الدول المسيحيّة منذ زمن بعيد، تعود إلى صُعوبة إطاعة الله والإنسان في آن، عندما تتعارض أوامرهما، وهي صعوبة لم تلق الحل الوافي إلى الآن. بديهيّ أنه عند تلقّي أمرين مختلفين، وإدراكنا أن أحدهما هو أمر من الله، يجب أن نطيع هذا الأمر وليس ذاك، وان كان ذلك الأمر آتيا من الحاكم المُطلق النظامي (الملك أو المجموعة ذات السلطة المطلقة) أو من أبيه. وبالتالي، تكمن صعوبةُ في أن البشر، عندما يكونون مأمورين باسم الله، يجهلون في حالات عديدة ما إذا كان الأمر يأتي من الله، أو ما إذا كان من يعطي الأمر، يسيء استخدام اسم الله في أي هدف خاص.**"[34]

"**فكُلُّ ما هو ضروريّ للخلاص مُتوافر في فضيلتين: الإيمان بالمسيح وإطاعة القوانين. فلو كانت الأخيرة كاملة، لكانت كافية. ولكن، طالما أننا جميعا مُذنبون لعلّه عدم الإطاعة حيال قانون الله، ليس مُنذ الأصل عبر أدام فحسب، بل حاليا عبر انتهاكاتنا الخاّصة؛ فالطاعة مطلوبة منّا حاليا بالنسبة إلى الزمن المُتبقي، والمطلوبُ أيضا هو غفران الخطايا للزمن الماضي، وهو يُشكل مكافأة لإيماننا بالمسيح. أمّا عدم فرض شروط أخرى للخلاص، فظاهر من خلال كون ملكوت السماوات غير مقفل**

أمام أحد سوى أمام الخطأة، أي من يعصون القانون وينتهكونه، كما أنه غيرُ مُقفل أمام التائبين والمؤمنين بكلّ المواد الجوهرية في الإيمان المسيحي الضروريّة للخلاص"[35]

وبالتالي على الأفراد احترام القوانين الكنسية وقوانين السلطة المطلقة وبالتالي إطاعتها معا لأن الدين جزء من الكنيسة بحيث يوضح هوبز مسألة مهمة وهي الإيمان بالمسيح ضروري من أجل الخلاص، بمعنى أن هوبز يؤيد الديانة المسيحية باعتبار أن الدين المسيحي يأمر الأفراد بطاعة أمرائهم.وبالتالي على الأفراد التوفيق بين إطاعة الكنسية والقوانين المدنية وبالتالي يصبح الدين أداة سياسية ويقول هوبز " **بعد إظهار ما هو ضروري للخلاص، لن يكون عسيرا التوفيق بين طاعتنا لله وطاعتنا للحاكم المطلق المدني، أكان مسيحيا أم غير مؤمن. إذا كان مسيحيا، سوف يسمح بالإيمان بتلك المادة القائلة إن يسوع هو المسيح، وبكل المواد المشمولة بهذه المادة، أو المستخلصة منها لي وجه أكيد. هذا هو مجمل الإيمان الضروري للخلاص. وطالما أن الموضوع متعلّ بالحاكم المطلق، فهو يغرض إطاعة قوانينه الخاصة كافة، أي جميع القوانين المدنية، حيث تتوافر أيضا كل قوانين الطبيعة، وقوانين الكنيسة التي هي جزء من القانون المدني (لأن الكنيسة القادرة على سن القوانين هي دولة). وبالتالي، لن يحول أيُّ أمر بالنسبة إلى من يُطيع حاكمه المطلق المسيحي، دون إيمانه أو طاعته لله.**"[36]

ويوضح هوبز مسألة مهمة بخصوص الحاكم أي كانت ديانته يجب طاعته لأن الاعتقاد الداخلي للإنسان غير مرئي، لهذا، لا يجب محاسبته. فحرية الاعتقاد عند هوبز مدخل من المداخل الكبرى للفكر الليبرالي ويقول هوبز "**وعندما يكون الحاكم المطلق المدني غير مؤمن، فكل من يقاومه من أفراد رعيته سيرتكب خطيئة ضد قوانين الله أنها في الواقع قوانين الطبيعة ويدحض نصائح الرسل الذين طلبوا من المسيحيين كافة إطاعة أمرائهم، ومن كل الأبناء والخدام إطاعة أهلهم وأسيادهم ففي شتى الأمور. أما إيمانهم، فهو داخلي وغير مرئي لديهم الإجازة التي كان يملكها نعمان، وليسوا بحاجة إلى تعريض أنفسهم للخطر من أجل ذلك الإيمان، أما إذا فعلوا، فعليهم أن ينتظروا المكفأة في السماء، وألا يتذمروا من حاكمهم المطلق المدني، وخاصة ألا يعلنوا الحرب عليه. في الواقع، من لا يفرح الاصطياد مناسبة شهادة، لا يملكون الإيمان الذي يعلمه، بل يتظاهر به فحسب بغية إخفاء عدم خضوعه. ولكن، أيُ ملك كافر قد يفقد عقله فردا أو يضهطدُه، علما أن الأخير ينتظر مجيء المسيح الثاني، بعد أن يحترق العالمُ الحالي، مع نيته بإطاعة الملك المذكور " وهي نية الإيمان بان يسوع هو المسيح)، وهو يعلمُ في هذا الوقت، انه مُلزم بإطاعة ذلك الملك الكافر (وهذا ما يقتضي أن يفعله كلُ مسيحيّ بموجب ضميره الحيّ"**[37]. إذا ليس من حق الأفراد لا يجوز معارضته والتدخل في شؤونه الخاصة لأن مسألة الإيمان والاعتقاد تدخل ضمن ما هو داخلي للإنسان وغير مرئي، وبالتالي فالديانة المسيحية ديانة سياسية.

خاتمة

إن هوبز لا ينكر أن هناك حقائق روحية ودينية عموما، مما يؤكد هذا الطابع العلماني لفلسفة هوبز السياسية بل أيضا طابعا ليبراليا.

لقد جعل هوبز الكنيسة خاضعة للسلطة المدنية كما جعل من ممارسة الشعائر والطقوس الدينية من الأمور التي يجب أن تخضع للنظام العام الذي تحدده هذه السلطة.

وبالتالي حاول هوبز تأسيس فكر السياسي من أجل حل الصراعات السياسية والدينية التي شكلت أزمة في العصر الذي عاشه توماس هوبز وهذه الأسباب أيضا كان لها دور في ظهور الفكر الليبرالي لأم محور الحداثة السياسية تجلت في الاهتمام بالفرد وحقوقه لأنه مهد الطريق للحقوق الطبيعية للإنسان. لأن ليبرالية هوبز قامت بتحديد مجموعة من الدعامات التي تقوم عليها، وهي أسس

قيمية وفلسفية تتجلى في الأخلاق بحيث نجد عند هوبز أن المصلحة الذاتية مبدأ عام في الطبيعة البشرية وأن كل فرد يعي مصلحته ويسعى إلى تحقيقها وذلك من خلال دفاعه عن الرغبة في البقاء، هذه الرغبة نتيجة لغريزة بيولوجية وهي التي يقوم عليها النظام الاجتماعي ، نظام قائم على غريزة التفوق، باعتبار أن المجتمع المتقدم هو الذي يسود فيه ثنائية القوي والضعيف مما ينتج عن ذلك صراع داخل الحياة الطبيعية ولذلك يمكننا أن نقول أن ليبرالية هوبز كانت بمثابة إصلاح للمجتمع السياسي والاجتماعي .

صفوة القول أن مقدمات هوبز السياسية هي مقدمات ليبرالية وديمقراطية حديثة. لأنه اهتم بالفردانية والمساواة والحق الطبيعي الذي تحكمه غريزة البقاء والحقوق الإنسانية وقانون الطبيعة الذي يوجه العقل وتنظيم السلوك الإنساني.

وبالتالي فتوماس هوبز شكل ثورة فكرية وسياسية في القرن السابع عشر، ومهد الطريق للفكر السياسي الديمقراطي والليبرالي.

الهوامش:

[1] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة" ترجمة : ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 114

[2] نفس المصدر ص 116

[3] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة" ترجمة : ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 117

[4] نفس المصدر السابق ص 119

[5] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 120

[6] نفسه ص 121

[7] نفسه ص 122

[8] نفس المصدر السابق ص 124

[9] نفس المصدر السابق ص 126

[10] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 126

[11] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 365

[12] نفس المصدر السابق ص 366

[13] نفس المصدر السابق ص 367

[14] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 367

[15] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 370

[16] نفس المصدر السابق ص 382

[17] نفس المصدر السابق ص 383

[18] نفس المصدر السابق ص 386

[19] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة" ترجمة : ديانا حرب وبشرى صعب سبق ذكره. ص 387

[20] نفس المصدر السابق ص 387

[21] نفس المصدر السابق ص 391

[22] نفس المصدر السابق ص 392.

[23] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 393

[24] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 397

[25] نفس المصدر السابق ص 397

[26] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 427

[27] نفس المصدر السابق ص 428

[28] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 348

[29] نفس المصدر السابق ص 478

[30] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 483

[31] نفس المصدر السابق ص 492

[32] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 497

[33] نفس المصدر السابق ص 499

[34] نفس المصدر السابق ص 560_561

[35] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 562

[36] نفس المصدر السابق ص 574

[37] توماس هوبز " اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية وسلطة الدولة "ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب . سبق ذكره ص 575